على قسمين اما ان يكون كاملا في نفسه فقط غير مكمل لغيره او مكملا لغيره والثاني
افضل ثم ما به تكميل الغير هو العلم او العمل وافضل مراتب العلم العلم بالله وافضل
الاعمال الطاعة له فمن كان له هذين اقوى تحصيلا وافادة كان افضل ولا شك
انه صلى الله عليه وسلم اقوى في هذين الشانين اذ هو ذو الكلمة الجامعة
والرسالة المحيطة وبدليل ما ظهر في امته وانتشر فيهم من العلم بالله والعبادات
الجامعة لعبادة العالم كله على ما تشير اليه الصلاة والحج وغير ذلك
مما لم يكن لغيرهم ولا في غيرهم والحاصل انه صلى الله عليه وسلم مختص باعلا
الكمال والتكميل وكل ما هو مختص باعلا الكمال والتكميل فهو افضل
فهو صلى الله عليه وسلم افضل وهذا برهان لمي اذ وسطه علة في العلم
والوجود معا وتحقق مقدماته ما بسطناه واما المحدث فادلته ما تقدم
من السمع واما الصوفي فيقول بما تقدم ونزيد بان نقول المفيد من كل الوجوه
اعلا من المستفيد من كل الوجوه وهو صلى الله عليه وسلم المفيد من كل الوجوه
اذ هو صلى الله عليه وسلم من نوره امتدت الانوار وقد قال صلى الله عليه
وسلم اول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شي والانوار على قسمين
طبيعية وروحانية والروحانية على قسمين علوم واخلاق ولا شك انه ذو
العلم المبثوث منه الى الخلق والخلق المبثوث لهم كذلك ولذلك
قال الله جل وعلا وانك لعلى خلق عظيم والى هذا الامداد اشار بقوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واليه الاشارة بقوله انا يعسوب
الارواح اي اصلها وكنت نبيا وادم بين الروح والجسد وبالجملة فهو
صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وكل ذلك نبأ عن
اختصاصه بسر البداية للجميع وقد نبه صلى الله عليه وسلم على خاصيته
التي لم يعلمها على الحقيقة الا الله بقوله عليه السلام يا ابا بكر والذي
بعثني بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي فاعرف ذلك ومن اجل هذه الفضيلة
سال اولوا العزم من الرسل كابراهيم وموسى الحق جل وعلا ان يجعلهم
من امته انتهى هذا وما ثبت من النهي عن التفضيل بين الانبيا في الاحاديث
فمحمله عند المحققين على التفضيل بالخصائص والاقيسة لان المزايا لا
تقتضي التفضيل وانما هو محض اصطفاء واختصاص من الله تعالى بحكم
المشيئة السابقة والقدر الازلي النافذ لا بعلة تقتضي نقص المفضل
عليه منهم او سبب وجد في الفاضل وفقد في المفضول حتى يتطرق النقص
او التقصير الى المفضول اذ ما من نبي الا واتى بما امر به على التمام ولم ينقص
منه ذرة فهو اذا توقيفي بحكم من الله لا يصح القدوم عليه الا بسمع وقد قال
الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم
درجات وهو محمد صلى الله عليه وسلم فافضليته صلى الله عليه وسلم
على جميع الخلق لا خلاف فيها بين الامة وانما تكلموا ابعد اتفاقهم على افضليته

على الجملة

على الجملة والتفصيل في انه هل يسوغ تعيين المفضول في الذكر والاطلاق باللسان
عملا بما هو المعتقد او لا صونا للادب وعملا بنحو قوله لا تفضلوني على موسى
ولا يقل احد انا خير من يونس بن متى وهذا هو المختار عملا بالدليلين والله اعلم
واما اسمه صلى الله عليه وسلم فاتح ففي حديث الاسرا الطويل عن ابي هريرة رضي الله
عنه من طريق الربيع بن انس قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه
من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنايه على ربه تعالى وتعديد مراتبه
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى المبدا المقدم
في الانبيا او الفاتح لكل خير وشريعة او الذي فتح الله به باب الهدى بعد ان كان
مرتجا او الذي فتح الله به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا او بمعنى الحاكم
او الفاتح لابواب الرحمة على امته او الفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان
بالله او الناصر للحق او المبتدي بهداية الامة او الذي او الذي فتح الله به ابواب الجنة او الذي
فتح الله به باب الشفاعة لساير الشفعا او الذي فتح الله به طرق العلم النافع والعمل
الصالح او الذي فتح الله به الابصار او الذي فتح الله به الدنيا والاخرة صلى الله عليه وسلم
واما اسمه صلى الله عليه وسلم مفتاح فهو بمعنى فاتح مع ما فيه من المبالغة لتعدد
فتحه وعظمه او المفتاح اسم الة الفتح وهو المفتاح ذو الاسنان والمراد انه
صلى الله عليه وسلم مفتاح مغاليق الامور او غير ذلك مما يكون فيه الفتح مما
تقدم والله اعلم واما اسمه صلى الله عليه وسلم مفتاح الرحمة فانه ما رحم احد
في الدنيا دينا او دنيا ظاهرا او باطنا ولا يرحم في الاخرة الا على يديه وبما خرج لمن
عنده وبمتابعته صلى الله عليه وسلم واما اسمه صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة
فيحتمل ان معناه انه لا تدخل الجنة الا من امن به فدخلها على يديه فكان هو مفتاحه
لدخولها ويحتمل ان يكون المراد انه مفتاح الجنة حسا فانها لا تفتح لاحد قبله
حتى ياتي ويستفتح فيفتح له فيكون هو مفتاحها كما في حديث مسلم واحمد عن انس
انه صلى الله عليه وسلم قال اتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وفي حديث الطبراني
انه يقول له لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك واما اسمه صلى الله عليه
وسلم علم الايمان فالمراد انه العلم على الايمان بمعنى العلامة والدليل
عليه وما على معرفة الله به يهتدى اليه وبنوره يستضاء في طريقه فهو الدليل الى الله
والدال عليه لا دليل ولا دال عليه سواه وهو باب الله الاعظم وصراطه
الاقوم بعثه الله ليدل عليه ويعرف الطريق اليه فكانت دعوته عامة
ورسالته تامة فدل على الله باقواله وافعاله وايقظ الارواح الى ملاحظة
جلاله وجماله فكل داع الى الله تعالى فانما يدعو بدعوته وكل دليل
فانما يدل بدلالته وايضا هو صلى الله عليه وسلم علم الايمان اي محبته علامة
الايمان فمن وجدت فيه فهو مومن والا فلا رزقنا الله محبته وفضله واما
اسمه صلى الله عليه وسلم علم اليقين فيعرف مما تقدم الان في الاسم قبله
من انه بمعنى العلامة والدليل عليه وهو السبيل الموصل اليه واليقين في الجملة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1